خطاب الأنا والآخر في رواية "الديوان الإسبرطي" لعبد الوهاب عيساوي بين التصادم والتفاهم

The speech of the Ego and the Other in the novel "The Spartan Court" by Abdel Wahab Al-Issawi between discord and understanding

الحسين قعفازي*

نعيمة بوزيدي♣

تاريخ الإرسال: 2022/02/29	تاريخ القبول: 2023/05/11	تاريخ النشر: 2023/12/31

الملخص:

تُعدّ العلاقة بين الأنا والآخر من أهم القضايا التي تمّ تناولها في الرواية العربية المعاصرة عموما، وفي الرواية الجزائرية على وجه الخصوص، ومن هذه الروايات رواية "الديوان الإسبرطي" لعبد الوهاب عيساوي، والتي تتناول فترة زمنية مهمة من تاريخ الجزائر تمتد من 1815إلى1833م، فترةٌ كانت شاهدة على بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر بكل ما تحمله من صدام وصراع. ولهذا فالهدف من كتابة هذا المقال هوالكشف عن خطاب الأنا والآخر في رواية الديوان الإسبرطي، وتحديد العلاقة بينهما من خلال دراسة العمل الروائي.

الكلمات المفتاحية: الأنا والآخر، الرواية، الديوان الإسبرطي، عبد الوهاب عيساوي.

Abstract:

The relationship between the ego and the other is one of the most important issues that have been dealt with in the contemporary Arab novel in general, and in the Algerian novel in particular. Among these novels there is "The Spartan Court" by Abdel WahabIssawi, which deals with an important era in the history of Algeria extending from 1815 to 1833 AD, an

*جامعة البليدة 2 مخبر الدراسات الأدبية والنقدية ee.gafazi@univ-blida2.dz

♣المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة naima.bouzidi@ensb.dz

era that witnessed the beginning of the French occupation to Algeria, with all its clash and conflict. That is why the aim of writing this article to explore the discourse of the Ego and the Other in the novel of the Spartan Court, and to determine the relationship between them by studying the novelistic work.

Key words:*ego and the other, the novel, the Spartan Court, Abdel WahabIssawi .*

*** *** ***

المؤلف المرسل: الحسين قعفازي ee.gafazi@univ-blida2.dz

مقدمة:

شكّلت قضية الأنا والآخر والعلاقة بينهما مادة دسمة للسرد الروائي، حيث نالت قسطا وافرا من اهتمام الروائيين العرب، ويعود ذلك لعدة اعتبارات منها: الظروف التي مرت بها الشعوب العربية في العصر الحديث، واحتلالها من قبل الدول الغربية وما أفرزه هذا الاحتلال من صراع بين الأنا العربية المضطهدة التي وجدت نفسها بإزاء واقع جديد مفروض عليها، والآخر الغربي الذي أتى لفرض واقعه وتحقيق مصالحه، وقد تمخض عن ذلك صدام حضاري اتسم بالعنف والقهر والاستلاب أحيانا كثيرة، وبالحوار وتلاقح الأفكار ومحاولة فهم الآخر أحيانا أخرى، وهذا مانجده في رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي، فهذه الرواية فضاء خصب لتجليات العلاقة بين الأنا والآخر، حيث تتناول فترة حساسة ومهمة من تاريخ الجزائر ألا وهي فترة بداية الاحتلال الفرنسي، وما تبعه من صراع بين الشرق والغرب ساهم بشكل كبير في تشكيل وعي وهوية الفرد الجزائري.

وعليه سنحاول في هذا المقال الإجابة عن الإشكالية التالية: ما طبيعة العلاقة بين الأنا والأخر في رواية الديوان الاسبرطي؟ وقد تفرّع عن هذه الإشكالية عدّة تساؤلات أهمها:

ما مفهوم الأنا والآخر؟ وكيف تتجلى العلاقة بينهما؟ كيف جسّد عبد الوهاب عيساوي العلاقة بين الأنا والآخر في رواية الديوان الإسبرطي؟ إلى أيّ مدى وفّق الروائي في تقديم مقاربة جديدة للعلاقة بين الأنا والآخر في روايته؟ هذه أسئلة وأخرى نروم الإجابة عنها في ثنايا هذا البحث، مستهدفين فهم طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر في هذه الرواية.

1. الإطار المفاهيمي للأنا والآخر:

1.1 مفهوم الأنا لغة:

جاء في لسان العرب: الأنا: "اسمٌ مكنيٌّ، وهو للمتكلم وحده، وإنما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين أنْ التي هي حرف ناصب للفعل"[1]. وجاء في المنجد: "أنا ضمير رفع منفصل للمتكلم والمتكلمة"[2]. والمستفاد من التعريفين أنّها تدل على المتكلم المفرد وحده سواء كان مذكرا أو مؤنثا.

2.1 مفهوم الأنا اصطلاحا:

تعددت وتشابكت تعريفات مصطلح "الأنا"، فهو" يعدّ من أعسر المفاهيم وأصعبها حدّا ومفهوما لتشعب حمولته الثقافية بين الحقول الفلسفية والفكرية "[3].وبناء على هذا فقد أولى الفلاسفة والمفكرون الغربيون والعرب اهتماما بالغا بتحديد مفهوم هذا المصطلح، فالأنا عند فلاسفة العرب إشارة إلى النفس المدركة، قال ابن سينا: "المراد بالنفس ما يشير إليه كل أحد بقوله أنا"[4]. أما من وجهة نظر الفلاسفة الغربيين فإنّ ديكارت يثبت وجود الأنا ويحدّد هويتها بناء على ممارسة فعل التفكير الذي يتضمن اللجوء إلى الشك في كل الموجودات، وعملية الشك والتفكير هذه هي عملية شعورية نفسية تمكّن الفرد من أن يعي ذاته المتجسدة في الأنا، فترتبط وتقترن الأنا بالتفكير، فأينما توجد الأنا يوجد التفكير[5]. ويعرف إبراهيم مدكور الأنا في المعجم الفلسفي بقوله: " هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائما واحد ومطابق لنفسه، وليس من اليسير فصله عن أعراضه، ويقابل الغير والعالم الخارجي ويحاول فرض نفسه على الآخرين. وهو أساس الحساب

والمسؤولية" [6]. نستخلص من التعريفات السابقة أنّ الأنا تمثل الذات ويقابلها العالم الخارجي وكل ما يمثّل الآخر.

3.1 مفهوم الآخر لغة:

جاء في لسان العرب: "الآخر بمعنى غير كقولك رجل آخر وثوب آخر"[7]. وفي المعجم الوسيط: " الآخر: أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد وهو بمعنى غير "[8]. بالاستناد إلى التعريفين السابقين فإن كلمة آخر في اللغة تشير إلى الغير المقابل للذات والمختلف عنها شرط أن يكون من نفس جنسها.

4.1 تعريف الآخر اصطلاحا:

وردت تعريفات كثيرة لمصطلح الآخر من بينها أنه بنية لغوية رمزية ولاشعورية، تساعد الذات على تحقيق وجودها ضمن علاقة جدلية بين الذات ومقابل لها، هو ما يطلق عليه الآخر[9]. بمعنى أن الآخر وجد أساسا ليكون بنية تقابل الأنا وتساعدها في إثبات وجودها. فالآخر" يتخذ مفهوم الغير في التمثل الشائع معنى تنحصر دلالته في الآخر المتميّز عن الأنا الفردية أو الجماعية، وتكون أسباب هذا التميز إما مادية جسمية، وإما عرقية أو حضارية أو فروقا اجتماعية أو طبقية"[10]. حسب التعريف السابق فإنّ الآخر يمثل كل ماهو مفارق للأنا ومتميّز عنها سواء تعلق الأمر بالأنا الفردية أو الجماعية مهما كان نوع هذا الاختلاف وطبيعته. أمّا عند ميشال فوكو فالآخر هو" الهامشي الذي سيبعده المركز، أو هو الماضي الذي يقصيه الحاضر، لكنه أيضا جوهري بالنسبة لكينونة الخطاب الذي يستبعده، فنحن لا نعرف الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذات دون الآخر"[11]. نخلص من التعريفات السابقة إلى أنّ الآخر مرتبط ارتباطا وثيقا بالأنا كما أن مفهومه لا يمكن أن يتحدّد بمعزل عن الذات، فالأنا والآخر برغم اختلافهما لا غنى لكليهما عن الآخر.

2. علاقة الأنا بالآخر:

إنّ العلاقة بين الأنا والآخر كما أسلفنا تلازمية لكنها في الوقت ذاته علاقة جدلية، فالعلاقة بينهما تختلف بحسب زاوية النظر التي تعتمدها الأنا تجاه الآخر،

فتكون العلاقة أحيانا سلبية عدوانية من منطلق النظرة الدونية كالعلاقة بين الشرق والغرب، في حالة الغزو والقهر، وأحيانا أخرى تكون العلاقة إيجابية أخوية تجعل من حضور الآخر حضورًا يحتدّ فيه شعور الأنا بذاتها وتزداد رغبتها بالاكتمال عبر الامتزاج به، أو بما يرمز إليه، فالآخر يلعب دورا كبيرًا وفعّالا في رسم حدود الأنا بكل أشكالها[12]. فسواء اتسمت العلاقة بين الأنا والآخر بالصدام والعدوانية أحيانا أو بالتعايش والحوار أحيانا أخرى، فإنه لا مناص من الاحتكاك بينهما، وهذا الاحتكاك ضروري لكليهما من أجل وعي أفضل بالذات وفهم أعمق للآخر.

بناء على ما سبق ذكره من حتمية العلاقة بين الأنا والآخر وتلازمهما وجوديًّا فإن السؤال الذي يجدر بنا طرحه هو: كيف يمكن التعايش بين الأنا والآخر؟ وكيف يمكن الاستفادة من هذه العلاقة التي لا مفر منها؟ فالأنا انطلاقا من أنّها لايمكن أن تعيش بمعزل عن الآخر وتأثيراته فإنّه لابد لها من " اللقاء مع آخر مختلف، يمكن الاستفادة من معارفه، وحتى حين نواجهه، نتعرف على نقاط ضعفنا، فنندفع إلى تغييرها، مثلما نتمسك بمزايانا، وبذلك يتبيّن لنا أنّ معرفة الذات على حقيقتها، لن تكون إلا عبر الاحتكاك بالآخر" [13].

إنّ من أهم ثمرات احتكاك الأنا بالآخر هو ذلك الحوار الذي ينشأ بينهما، حوار يخلق مناخا خصبا للتعايش لا التطابق في وجهات النظر بين المختلفين[14]. ومن أهم ما ينشأ عن هذا الحوار والتعايش هو " القبول بالآخر بما هو عليه، ومهما بدا ممعنا في الاختلاف والتغاير عن الأنا" [15]؛ لأنّ هذا الآخر له منطلقاته ورؤاه ومحدداته ومقوماته التي تختلف اختلافا جذريا عن مقومات ومنطلقات الأنا.

نخلص مما سبق إلى أنّ علاقة الأنا بالآخر علاقة جدلية قائمة مدى الحياة على مستوى جميع الحقول الفكرية والمعرفية، فالعلاقة إلزامية سواء كانت علاقة تنافر أو تجاذب، فبالأنا يعرف الآخر وبالآخر نحاول فهم الأنا، فالأمر بمجمله يشبه صفحتي ورقة لا يمكن فصل إحداهما عن الآخرى[16]. وهي العلاقة التي نروم الكشف عن طبيعتها في " رواية الديوان الإسبرطي" لعبد الوهاب عيساوي.

3. تجليات العلاقة بين الأنا والآخر في رواية "الديوان الإسبرطي":

تتجلى العلاقة بين الأنا والآخر في رواية الديوان الإسبرطي عبر ثنائية الشرق والغرب، وهذه الثنائية " اصطلاح حديث جاء مع تقسيم الأوروبيين في عصور الاستعمار العالمَ إلى شرق يعنون به أهل آسيا وإفريقيا، وغرب يعنون به أنفسهم، وإن كان استعمال الكلمتين حديثا، إلا أنّ دلالاتهما قديمة، فمنذ القدم كان في العالم قوتان تصطرعان وتتنازعان السيادة، إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب، وتمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والصليبيين" [17]. فالشرق في الرواية يمثل كل وجود يرمز إلى الحضارة العربية الإسلامية بمكونها الجزائري والتركي، والغرب يمثله أساسًا المحتل الفرنسي وغيره من الدول الأوروبية الأخرى. وبما أن الرواية متعددة الأصوات فقد كانت مجالا خصبا تمظهرت فيه علاقة الأنا بالآخر، متسمة بالتصادم والعدائية أحيانًا وبالتفاهم والتعايش في أحيان أخرى.

3.1 موقف الأنا الرافض للآخر" خطاب التصادم":

تعد شخصية "حمة السلاوي" وهو شاب جزائري من سكان المحروسة أبرز من يمثل هذا الموقف في رواية الديوان الإسبرطي، فلطالما مثّل الشخصية الصدامية التي ترفض الآخر، ولم يفرق في ذلك بين الأتراك والفرنسيين فكلهم في نظره أجانب جاءوا إلى الجزائر من أجل نهب الثروات والتسلط على الأهالي، فالأتراك في نظر السلاوي "لا يحملون شيئا معهم سوى كونهم أتراكا، يبنون لهم أوجاقا جديدة، أيام فقط حتى يصبحوا جنودا يسيرونهم إلى أريافنا، من أجل ضرائب تعود إلى خزينتهم" [18]. أما الفرنسيون فهم أسوأ حالا وأشد وبالا على الجزائريين، " لاعهود لهم وهم أكثر جشعا من الأتراك" [19]. فبالنسبة إلى السلاوي: الآخر ليس واحدًا بل هو آخران: الآخر التركي الذي يشترك معه في نفس العقيدة لكنه يرى أنهم مجرد كيان أجنبي هدفه جمع الضرائب والحصول على الامتيازات، والآخر الفرنسي الأكثر سوءاً الذي نهب وغصب وأهلك البلاد والعباد.

عندما ننتقل إلى شخصية ابن ميّار في الرواية وهو رجل من أعيان مدينة الجزائر نجد أنّ خطاب التصادم عنده أقل حدّة بكثير إذا ما قارنناه بالسلاوي ويمكن أن نستشف هذا الخطاب عند ابن ميّار من خلال إدراكه لحجم الهوة الثقافية بين الشرق والغرب التي تتسبب في سوء الفهم في أحيان كثيرة، فهو مثلا يرى أن الأوروبيين لا يمكن أن يفهموا نظام الخلافة في الإسلام، وأن يدركوا مفهوم الأمّة ككيان سياسي، يقول في ذلك: " لا يمكن أن يستوعب الأوروبيون كيف تقوم الدول في الشرق، أو مع نظام الخلافة إذ لم تخضع فقط للسياسة، بل أيضا إلى كونها أمّة مسلمة واحدة" [20]. ونجد مثل ذلك في الرواية في أكثر مواقف ابن ميّار حدّة ووضوحا مع الآخر، حين يصرّح بأنّه ورغم إيمانه بجدوى المطالبات السياسية مع المحتل، فإنّه يسخر من محاولة الفرنسيين تنصير الشعب الجزائري ومسخ هويّته فيقول: " لا يمكن أن يصبح الهلال صليبا. قرون من الحروب والموتى، وما حال هلال إلى صليب، مثلما لم يتحوّل صليب إلى هلال. بالنّار لا تستطيع تغيير إيمان الناس، قد يتشبهون بك زمنا طويلا، ولكن قلوبهم ستبقى معلّقة بالشرق" [21].

3.2 موقف قبول الأنا للآخر"خطاب التفاهم":

تعد شخصية ابن ميّار في رواية الديوان الإسبرطي من أهم الشخصيات التي تمثل الأنا التي تتعايش مع الآخر وترفض رفضا قاطعا الصدام معه سواء تعلق الأمر بالآخر التركي أو الفرنسي، فقد كان ابن ميّار من أعيان مدينة الجزائر ومن أهم الموالين للحكم التركي فيها، كما أنّه يعتبر حكم الأتراك في الجزائر من عوامل ازدهار المدينة، فالناس في المحروسة حسب ابن ميّار "يحترمون بني عثمان ويتجنبونهم، يكفيهم أن مساجدهم مشرّعة أبوابها، وفقراؤهممكفيون، وعلماؤهم محترمون، وأنهم يعيشون بأمان، وأنّ الجهاد معلن منذ ثلاثة قرون"[22]. فالعثمانيون بالنسبة إلى ابن ميّار يمثلون ذلك العمق الحضاري والمرجع الديني الذي تستمد منه الجزائر وجودها كون الأتراك يمثلون الخلافة الإسلامية آنذاك، يقول عن ذلك: "تعلّقت عيناي بالشّرق، آمنت دوما أنّ لتلك الجهة سحرًا، ولن يكون انبعاث المحروسة إلا من هناك" [23].

أمّا بالنسبة إلى الآخر الفرنسي فقد كانت نظرة ابن ميّار إليه نظرة المنبهر بمنجزات حضارته ، فمن المقاطع التي يتجلّى فيها انبهار الأنا ممثلة في ابن ميّار بالآخر الفرنسي في الرواية فيما يخص سرعة تأقلمهم في الجزائر قوله: "كانوا أكثر ميلا للاكتشاف، حتى اللغة التي يتخاطب بها الناس في الأسواق، كتبوا كل مفرداتها في دفاترهم، وحفظوا جملا كثيرة، وصار منهم من يتكلم بها، ثم طبعوا منها كتبا ووزعوها على ضباطهم، اقتنيتُ واحدًا منها، وراقني وأنا أتصفّحه لكنّني كنت حزينًا أنّ بني عثمان لم يتصرّفوا مثل هؤلاء الأوروبيين". [21] كما يبدي ابن ميّار انبهاره بالتماثيل المنحوتة أثناء زيارته لباريس قائلا: " أولئك الأوربيون مولعون بالصور والتماثيل البشرية، والمشهورون بينهم ينحتون لهم تماثيل يضعونها في أماكن مختارة، في تقاطع الطرقات وعلى أطراف القبور، شاهدتهم في ساحات مرسيليا، وأكثر في ساحات باريس"[24].

وفي سياق آخر في الرواية نجد أنّ السلاوي الذي يمثل رفض الأنا للآخر يعبّر في موقف من المواقف عن انبهاره بالآخر حين أدرك المستوى الذي وصل إليه الفرنسيون في العلوم ويقارنهم بحال الجزائريين في قوله: " أُصغي إلى صوت أحدهم يحدّثهم عن أدوية يخال الناس في المحروسة أنّها بلاء من عند الله، ما إن تظهر أعراضها حتى ييأسوا من علاجها ويرفعوا أيديهم بالدعاء. وحين يبحث علماؤهم عن مزيد من الاكتشافات، يسرع الرياس إلى قواربهم ليعترضوا السفن الأوروبية" [25].

3.3 موقف الآخر الرافض للأنا "خطاب التصادم":

يتجسّد هذا الموقف بقوة في الرواية من خلال شخصية الضابط الفرنسي " كافيار" أحد كبار قادة الحملة الفرنسية على الجزائر، حيث نجد أنّ حديثه في الرواية عن الجزائريين الذين يسمهم "المور" حديث طافح بأفكار العنصرية والاحتقار، فهم عنده مجرد كائنات شهوانية " لا يحسنون سوى الأكل والشرب، ومضاجعة نسائهم من أجل مزيد من الأطفال، يبعثرونهم حولهم، وتكتمل متعتهم بمصّ الغلايين واحتساء القهوة " [26]. وهذه النظرة لا تخص الجزائريين فقط بل تشترك معهم في ذلك كل الشعوب الإفريقية والعربية، فهؤلاء الشعوب حسب كافيار " ميّالون إلى الاسترخاء، لا يعملون إلا والسوط فوق ظهورهم، لا يمكنهم تحقيق مصالحهم إلا بالفرد الأوروبي. لا

يستطيعون تنظيم حياتهم، يجب دائما أن يكون هناك سيّد ينوب عنهم، يسيّر لهم حياتهم" [27]. فالآخر هنا ممثلا في كافيار يحاول أن يبرّر الاحتلال واستعباد هذه الشعوب عن طريق النظرة الاستعلائية العنصرية التي مفادها أنّ هذه الشعوب لا تحسن تنظيم حياتها وميالة إلى الكسل، والفرد الأوروبي هو من يأتي كي ينظّم لهم حياتهم، أما النساء الجزائريات فيقول عنهنّ: "نظرة نساء المور قاسية، تولّد الخوف في داخلك، تحتدّ نهايات العيون، وتتشعّب العروق الحمراء في بياضها، كأنّها تتوعّدك بالموت " [28].

تتمظهر هذه النظرة الدونية للجزائريين حتى في المظاهر العمرانية، حيث يعتبر كافيار أنّ طريقة بناء البيوت وتنظيم الشوارع عند الجزائريين بدائية، ولا تستجيب للمعايير الأوروبية، يقول عنهم: " لايعي هؤلاء المور معنى المدينة، يظلون يحلمون بقرية ضيّقة لا تتسع شوارعها لعربة يجرّها حصانان، يحبون سقائفهم وحواريهم التي تبدو مثل جحور" [29].

لم تقتصر نظرة الغرب إلى الشرق في الرواية على الفرنسيين نحو الجزائريين بل تجاوزتها إلى الأتراك حيث نجد أنّ كافيار يتحدث عنهم في الكثير من مقاطع الرواية، خصوصًا أنّه وقع أسيرا في قبضتهم وسُجن في الجزائر قبل الاحتلال، وهذه الحادثة جعلته يحقد على الأتراك ويصفهم بأبشع الأوصاف منها أنّهم: " طمّاعون لدرجة لا تتنبّأ فيها بحجم مطالبهم، تهبهم ألفا فيُضاعفون الأرقام، مهووسون بالنساء والذهب " [30] . وفي الشق السياسي يتعجب كافيار من نظام الحكم التركي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي الذي اتّسم بالاضطرابات وكثرة الانقلابات قائلا: " غريبٌ أمر أولئك الأتراك، يأتون من أزمير أوّل الأمر مجرّد جنود، وفي وقت وجيز يصيرون باشوات، يتقاتلون من أجل الملك، الباشا علي يقتل الباشا عمر، وهذا الأخير تآمر على قتل سابقه وعلى هذا يدرجون" [31]. ولم يكن السجن فقط هو الذي جعل كافيار يحمل هذا الكمّ من البغض نحو الأتراك، فالأمر أبعد من ذلك بكثير، حيث أنّه في موضع آخر من الرواية تتجلّى لنا الأصول العقائدية لهذا الحقد على الأتراك في قوله: "ليس هناك ما يجعلني أتفق مع هؤلاء الأتراك المحمّديين، ولهم إلههم الذي يدعوهم لاضطهادنا، أليس غريبا أنّ أول ما حفظته من لغتهم هي سبابهم إياي بمسيحيّتي وكفري" [32].

3.4 موقف قبول الآخر للأنا "خطاب التفاهم":

ديبون صحفي فرنسي رافق الحملة الفرنسية على الجزائر، وكان في البداية مؤمنا بالحملة ويرى بأن هدفها نشر كلمة الرب والتبشير بالمسيحية ونقل الحضارة إلى الضفة الأخرى من المتوسط، ديبون في رواية الديوان الإسبرطي يمثّل الآخر الذي يؤمن بالحوار وينبذ العنف، فقد كان يعتقد أنّ الحملة حين تصل إلى الجزائر ستضطر الجزائريين إلى التفاوض وسيستسلمون، ولن يراق بعدها قطرة دم واحدة، يقول ديبون: " أنا غير مقتنع بقطرة دم واحدة تسيل ليعمّ نور الربّ إفريقية. يتناقض النّور مع لون الدّم، والسّلاح مع الكلمة، والمحبّة مع الكراهية "[33]. لكن سرعان ما تبدّدت أحلامه حين وصوله إلى الجزائر وشهوده على ما حصل أثناء فترة بداية الاحتلال، فها هو يقف مصدوما من منظر جثث الجزائريين المترامية هنا وهناك بعد انتهاء معركة سطاوالي قائلا: " هل هذا هو النور الذي أتينا به لهذه الأمة؟ كيف يمكننا الآن أن نعرّف الحرية أو البربريّة يا كافيار؟ " [34].

بعد أن استفاق ديبون من صدمته وأدرك أنّ الحملة الفرنسية كانت من أجل المال والذهب ونهب الأراضي والتسلّط على الأهالي، ولا علاقة لها بنشر النور والحضارة وغيرها من الأوهام التي كان يعتقدها، تعرّف حينها على ابن ميّار، وكانت علاقتهما تمثّل التقاء الآخر بالأنا لقاء تفاهم لا تصادم، فقد كان ديبون يدعم ابن ميّار في مطالبه المتمثلة في استعادة الأوقاف والضياع والمساكن والمساجد التي استولى عليها الاحتلال الفرنسي، لكنّ محاولاتهما باءت بالفشل. يقول ديبون عن ذلك: "لم يبق لي سوى الركض مع ابن ميّار، نحلم أن نغيّر المدينة، ونطرق الأبواب كلّها لعلّ واحدا يفتح لنا. ولم نلق سوى السّباب والشّتم" [35]. هنا يستوقفنا شيء مثير للانتباه في حالة ديبون وابن ميّار حيث نجد أنّ الأخر والأنا يسعيان إلى نفس الهدف ويلقيان الخيبة نفسها، وهذا يعود إلى توافقهما على نفس المبادئ بالرغم من الاختلاف الحضاري والعقائدي والثقافي بينهما، مما يؤكد جوهر الفكرة التي تقول بوجود مبادئ مشتركة يناصرها جميع العقلاء والأحرار في العالم مهما اختلفت مشاربهم، مثل نبذ العنصرية ورفض الظلم والدعوة إلى العدالة والمطالبة باحترام المواثيق والعهود. كلها مبادئ تمّ نقضها من قِبل الاحتلال ولم يعد لها أيّ وجود، لتلتقي الخيبتان خيبة الأنا وخيبة الآخر وتتحطّم مساعيهما في تغيير

الأوضاع، فما هي إلا أيام حتى يُنفى ابن ميّار إلى تركيا ويعود ديبون إلى مرسيليا مُستسلما لمصيره.

4. خاتمة:

نخلص ممّا سبق إلى النتائج التالية:

. تدور معظم التعريفات الاصطلاحية للأنا والآخر حول اعتبار أنّ الأنا تمثّل الذات وكل ما تشير إليه بقولك أنا، ويقابلها الآخر الذي يمثل العالم الخارجي المفارق للأنا والعلاقة بينهما علاقة ترابط وجوديّ إذ لايمكن فهم أحدهما بمعزل عن الآخر، فبالأنا يعرف الآخر، وبالآخر نحاول فهم الأنا.

. تجلت العلاقة بين الأنا والآخر في رواية الديوان الإسبرطي عبر ثنائية الشرق والغرب، وبما أنّ الرواية متعددة الأصوات فقد كانت مجالا خصبا تمظهرت فيه علاقة الأنا بالآخر، متسمة بالتصادم أحيانًا وبالتفاهم والتعايش أحيانا أخرى.

. تميّزت رواية الديوان الإسبرطي بأنّها لم تقدم لنا صورة واحدة للأنا، حيث نجد في الرواية أنّ شخصية حمة السلاوي مثّلت الأنا التي ترفض التعايش مع الآخر وتقبّل وجوده، سواء تعلق الأمر بالآخر التركي أو الآخر الفرنسي، بينما جسّدت شخصية ابن ميّار الأنا التي تتعايش مع الآخر وتختار الحوار والحلول السلمية بدلا من المواجهة والصدام.

. تجاوز عبد الوهاب عيساوي في رواية الديوان الإسبرطي تلك النظرة الكلاسيكية عن الآخر والتي تحجزه في إطار واحد وتعتبره ذلك الأجنبي المعادي لكل ما يمثل الأنا، حيث أنّه قدّم لنا في روايته صورتين للآخر، الآخر العنصري المعادي لكل ما يمثل الشرق، وقد جسّد هذا الدور في الرواية الضابط الفرنسي كافيار، والآخر الذي يؤمن بالحوار ويتقبّل الاختلاف وينبذ العنف وسيلة للوصول إلى أهدافه، وقد جسّد هذا الدور في الرواية الصحفي الفرنسي ديبون.

. تمثّل علاقة ابن ميّار وديبون في رواية الديوان الإسبرطي ذلك البصيص من الأمل في إمكانية التعايش بين الأنا والآخر ويتجلى ذلك في توافقهما على بعض المبادئ

والقيم الإنسانية كنبذ العنصرية والعنف، ورفض الظلم والدعوة إلى السلام والمحبة وقبول الآخر.

*** *** ***

5. الهوامش:

[1]- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار الحديث،دط، القاهرة مصر، 1434هـ. 2013م، ج1، ص258.

[2]- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق،ط43، بيروت لبنان، 2008، ص19.

[3]- ينظر: مقدم علي و قادة محمد، الحوار الثقافي بين نحن والآخر من منظور عبد المالك مرتاض، مجلة سيميائيات، الجزائر، المجلد16، العدد2، سبتمبر2020، ص 324.

[4]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني،دط، بيروت لبنان، 1982، ص139.

[5]- ينظر: اسعيد سعدي و مليكة بن بوزة، ثنائية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة . رواية الملكة لأمين الزاوي نموذجا، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية،الجزائر، المجلد6، العدد2، 2021، ص 234.

[6] - إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية،دط، القاهرة مصر، 1403هـ/1983م، ص23.

[7]- ابن منظور، المرجع السابق، ص 94.

[8]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، جمهورية مصر العربية، 1425هـ/2004م، ص 8.

[9]- ينظر: محمد الخيار، صورة الآخر في شعر المتنبي، دار الفارس، ط1، بيروت لبنان، 2009، ص21.

[10]- حسن شحاتة، الذات والآخر في الشرق والغرب صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، ط1، القاهرة مصر،المحرم 1429هـ/يناير2008م، ص17.

[11]- مقدم علي وقادة محمد، المرجع السابق، ص 325.

[12]- ينظر: اسعيد سعدي ومليكة بن بوزة ، المرجع السابق، ص 235.

[13]- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر(نماذج عربية روائية)، عالم المعرفة،دط، الكويت، مارس 2013، ص18.

[14]- ينظر: اسعيد سعدي ومليكة بن بوزة ، المرجع السابق، ص236.

[15]- صلاح صالح، سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2003، ص69.

[16]- ينظر: مقدم علي وقادة محمد، المرجع السابق، ص 327.

[17]- روضة علي الحمادي، تمظهرات صراع الأنا والآخر في نظرية ما بعد الكولونيالية، مجلة مقامات، قطر، المجلد5،العدد2، ص 100،99.

[18]- عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ط1، ميم للنشر، 2018، ص 65.

[19]- المصدر نفسه، ص 133.

[20]- المصدر نفسه، ص 281.

[21]- المصدر نفسه، ص 346.

[22]- المصدر نفسه، ص 59.

[23]- المصدر نفسه، ص 136.

[24]- المصدر نفسه، ص 208.

[25]- المصدر نفسه، ص361.

[26]- المصدر نفسه، ص 334.

[27]- المصدر نفسه، ص 263.

[28]- المصدر نفسه، ص 266.

[29]- المصدر نفسه، ص 335.

[30]- المصدر نفسه، ص 265.

[31]- المصدر نفسه، ص 190.

[32]- المصدر نفسه، ص 111.

[33]- المصدر نفسه، ص 252.

[34]- المصدر نفسه، ص 253.

[35]- المصدر نفسه، ص 318.